

تاريخ القبول: 2019/05/20

تاريخ الإرسال: 2019/04/26

التنوع الديني في نيجيريا وتأثيره على مسألة البناء الوطني

Religious diversity in Nigeria and its impact on the issue of national construction

خديجة هابة

المركز الجامعي بتمنراست موسى اق اخاموك (قسم العلوم الإنسانية)

ayaat4488@gmail.com

مَلِكُ حَيْضِ الْبَيْتِ

تتمحور هذه الدراسة حول الاختلاف والتنوع الديني في نيجيريا، و تأثيره على مسألة البناء الوطني ، حيث يوجد في نيجيريا الديانات التقليدية القديمة وما يتعلق بها من عبادة الحيوانات ، أو الأشياء الأخرى وكذلك الدين الإسلامي الذي دان به أكثرية قبائل الهوسا في الشمال ، أما بالنسبة للديانة المسيحية فقد جاءت مع الاستعمار ثم انتشرت في المناطق الساحلية بالجنوب . لقد كان لهذا التنوع أثار عديدة انعكست على مسألة بناء الدولة بعد الاستقلال ، خاصة وأنها تطورت في غالبيتها إلى صراعات دينية أعاقت عملية البناء .

الكلمات المفتاحية: التعدد الديني.البناء الوطني. التركيبة الدينية. الصراعات الدينية

نيجيريا

Abstract :

This study focused on religious diversity in Nigeria, And its impact on the issue of national construction; in Nigeria there are Ancient traditional religions, that are associated with animal worship, or other things , And The Islamic religion believed by most of the Hausa tribes in the north , As for Christianity came with colonialism and then spread in the coastal areas in the south.This diversity and difference had many implications and was reflected on the question of nation-building after independence, especially as it developed mostly into religious conflicts that hampered nation-building.

key words : Religious pluralism . National construction . The religious structure. Religious conflicts . Nigeria .

: مقدمة

تعد حضارة " نوك " التي ازدهرت وسط نيجيريا بين القرنين 6 ق.م، والقرن 3م، أول حضارة معروفة للشعب ، الذي قطن قرب ملتقى نهر النيجر و فرعه بنيوي في هضبة جوس ، و بلغ شعبها مستوى عال من التطور ، كما تعتبر هذه الحضارة من أولى الحضارات الإفريقية في جنوب الصحراء التي استخدمت الحديد قبل عام 550 ق.م (صناع مهرة) ، وهي أولى ملامح تاريخ ماضي عن المنطقة

أما التاريخ الوسيط للمنطقة فتميزت على غرار مناطق إفريقيا الغربية بظهور ممالك ، و إمارات محلية فكما ظهر في الغرب مملكة غانا ومالي و صنغاي ، التي امتد سلطانها أحيانا للبلاد نيجيرية كذلك ظهرت في المنطقة النيجيرية ممالك الهوسا في الشمال وممالك اليوروبا في الجنوب الغربي و قبائل الايو في الجنوب الشرقي وهي أساس التركيبة الإثنية المكونة لمجتمع نيجيريا ، والتي تميزت بالتباين في تموقعها الجغرافي وأصولها التاريخية و التركيبة الثقافية و الدينية ، ففي البداية سادتها الديانات التقليدية شأنها شأن كل مناطق إفريقيا و بعدها كان أهم تأثير ظهر في هذه الفترة هو انتشار الإسلام ثم الكشوفات الأوربية ، التي ميزت السواحل و توغلت للداخل ، وما ترتب عن ذلك من نشر للديانة المسيحية و سيطرة استعمارية في الفترة الحديثة .

ولم تكن تعرف هذه المناطق باسمها الحالي إلا بعد 1914م ، حيث أطلق عليها البريطاني فريدريك لوغارد (Frederick Lugard) اسم نيجيريا وذلك بعد إتمام الإدماج الاستعماري للبلاد فوقعت تحت إمرة الاستعمار البريطاني ثم استقلت عام 1960. و الإشكال المطروح هو كيف ستواصل دولة نيجيريا بناءها الوطني في ظل هذه الاختلافات القبلية و الثقافية و خاصة الدينية ؟ و بمعنى آخر ما هو تأثير التركيبة الدينية المتنوعة للمجتمع النيجيري على مسألة البناء الوطني بعد الاستقلال.؟

أولا : التركيبة الدينية في المجتمع النيجيري

تعددت المعتقدات الدينية في المجتمع النيجيري على غرار التعدد القبلي فيها حيث يتواجد المسلمين والمسيحيين وكذا أصحاب الديانات التقليدية القديمة .
أ- الديانات التقليدية :

إن الإنسان مفطور على التوجه نحو وجهة عليا تفوقه في هذا الكون ، وتحميه من تغول الطبيعة و هو ما جعله يلجأ إلى ما سماه بالأرواح أو الوسائط والسحر كبدائل دينية في البداية حيث انتشرت الديانات التقليدية .

و تعتبر دراسة الدين أحد الأساليب الحديثة لاكتشاف إفريقيا ، ويذكر موريس دولافوس في كتابه حضارة الزنوج في إفريقيا أنه ما من نظام يشهد بين قبائل إفريقيا السوداء سواء كان نظام اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي إلا و يرتكز على فكرة دينية ، فالدين حجر الزاوية و خاصة حين كان يظن أن تلك الشعوب مجردة من فكرة الدين ، لكنها في الواقع هي أشد الشعوب تدينا¹، و لم تكن تطلق كلمة دين أو عقيدة على الشعائر والممارسات التقليدية في إفريقيا، وجاء وصفها بهذا المصطلح متأخرا حيث تعددت المصطلحات التي أطلقها علماء السلالات و الانثروبولوجيا لوصف الطقوس و الشعائر الإفريقية منها:

1- Animism : كما أوردها عالم السلالات الانجليزي Taylor ، و يقصد بها الروحية حيث يرى البدائيون أن النفس أو الروح تستمر في العيش بعد موت الجسد و تحل في الأشجار و الصخور و الأنهار و الحيوانات ، وعليه هذه الأشياء التي تسكنها الأرواح صارت تعبد كآلهة، وهكذا يعتقد الأفارقة أن هذا الكون به ما لا يحصى من الأرواح².

2- Paganism : تعني كل ما هو جاهلي وثني و يطلق هذا الاسم حسب kofi³ على أولئك الذين ليسو بمسيحيين و لا مسلمين ولا يهود⁴.

3- Fitishism : هذا المصطلح يشير إلى أي عمل سحري أو تميمة أو تعويذة جالبة للحظ وأصل اللفظ برتغالي Fetico أطلقه البرتغال عند مشاهدتهم

للأفارقة يعلقون التمايم في صدورهم و جذوعهم و يذكر ماري Mary kingslay انه عندما أقول Fitish أو Juju أغني الدين التقليدي لغرب إفريقيا .

4- Polytheism : تعني عبادة الشرك وتعدد الآلهة حيث يرى Parrinder E.G في كتابه أديان إفريقيا⁵ أنها متعددة الآلهة وليس فيها الآلهة غيرة اتجاه الشرك وهي متسامحة في عقائدها .

5- Ancestor worship : عبادة الأسلاف أطلقها هاربرت سبنسر herbert spencer في كتاب مبادئ علم الاجتماع لكن هذه التسمية اعتبرت عند بعض الباحثين مبالغ فيها فالأمر ليس بالعبادة محض كما يذكر Kofi⁶ 6- African traditional Religions / الديانات التقليدية في إفريقيا :

هذه التسمية تعبر بشكل عام عن الطقوس والمعتقدات الإفريقية وتشمل التسميات السابقة الذكر ومهما تعددت أشكالها وأفكارها فهي تتغلغل في ثقافة القبيلة وقصصها و أساطيرها و احتفالاتها . فالذين عند الأفارقة يتغلغل في الحياة اليومية ، إضافة إلى ذلك حاول الكثير من الانثروبولوجيين الأفارقة إثبات معرفة الإنسان الإفريقي للإله الخالق الواحد مثل ، E. Bolaji idowu له كتاب African Traditional Religion و OLodumare : god in yoruba belief ، وفي هذا الصدد يقول jhon Mbiti : "المبشرون الذين جلبوا الأناجيل إلى إفريقيا قبل مائتي سنة فقط لم يكونوا هم الذين أتوا بالرب إلى قارتنا لكن الرب هو من أتى بهم ،إنهم يستخدمون اسم الرب الذي عرفه إنسان إفريقيا قبلهم فهو أولدماري عند اليوروبا و شوكو عند الايبو و جوك في كينيا ، نيامي في الكامرون ، ناجي عند كيوكيو ...كلها أسماء تشير إلى الإله الواحد خالق الكون"⁷.

أما بالنسبة للعبادات التي انتشرت عند أصحاب الديانات التقليدية في نيجيريا نذكر منها : تقديس الحيوانات حيث كانت عند قبائل اليوروبا الكبش و الفيل و القرد الأحمر من حيوانات مقدسة لارتباطها بأساطير الأسلاف إضافة إلى تقديس التماسيح و الثعابين و الأفيال و كذلك تقديس الأرض كونها تحوي روح فإذا نزحت القبيلة ، عليها أن تستأذن شيخ الأرض، و عند الإيبو يعتقدون أن الأرض هي الأب

الأول للإنسان⁸. إضافة لعبادة الأجداد المتجذرة عندهم حيث يربطون أرواح السلف ببعض الكائنات و يضحون لهم بالبشر في محاولة لاسترضائهم، وهي ترتبط بالمذهب الارواحي (animism)، بحيث أن لكل ما في الكون روح على شاكلة اعتقاد الكثير من القبائل في غرب إفريقيا إضافة إلى الوثنية كما أسلفنا الذكر⁹، وتوجد في نيجيريا أيضا Fitishism (عبادة السحر و التمايم) و الطوطمية حيث يعتمد تدين النيجيريين على الرغبة فيما عند المعبود من خير أو رهبة من شر، وعلى أنهم ينسبون كل خير و كل شر إلى قوة ذلك المعبود وسلطانه لهذا يخضعون له و يستعينون به في شؤونهم و يعتقدون بأن المتدين يجب أن يكون سعيدا في حياته قبل مماته، وكما هو في الدنيا شأنه كذلك في الآخرة¹⁰.

كما أن في بلاد الهوسا وثنون كفار يسمون بالماغاوي (على اسم احد أعيانهم /ماغا) و موطنهم الأصلي في مقاطعة كانو حيث أسلموا في عهد محمد رونفا فسموا توباوي (التائين) ، لكنهم استصعبوا شرائط الإسلام فارتدوا للكفر فأصبح كل مرتد يعرف بماغاوي ، كما عرفت هذه البلاد السحر الذي كان يمارسه الكهنة حيث يخطون خطوط في الرمل أو يرمون الحرز و يستتقونه عن أخبار المستقبل¹¹ وقد عرفت ممالك الهوسا قبل إسلامها بممالك الهابي نسبة لملوك الهابي الوثنيين منذ 1050م¹²، وعليه عرفت هذه البلاد الإسلام ، الذي كان يمارس مخلوطا بالوثنية منذ القرن الثالث عشر¹³.

أما عند اليوروبا رغم انتشار الديانات التوحيدية فقد حافظوا على طقوس الديانات التقليدية ومن بينها أن الوثنيون يحتفلون بيوم تأسيس مدينة ابادان و يسمى " أوكي ابادون " وفيه تردد عبارة "أبو- أبو" وهي كلمة شتم للنساء حيث يخرج فيه رجل بلباس قبيح ويضع على رأسه جمجمة امرأة ثم يسير به في الشارع فلا تجرؤ امرأة على الخروج من بيتها أو الظهور أمامه لما قد يصيبها من مكروه ، ويكون الاحتفال بشتم النساء ولعنهن ، وضرب المحتقلين بعضهم بعض بالحصى¹⁴ كما كان لليوروباويين عدة أوثان عبدها كإيلا (Ela)، اباتالا (Abatala) وبيماجا (

(Yemaja) ايفا (Ifa) - ايغونغن (Egungun) - أور (Oro) - سنغو (Sango) - شنبانا (Sanpona)¹⁵.

ولكن مع المد الإسلام و المسيحي تخلص الكثير من قبائل نيجيريا من هذه الديانات القديمة والتي انحصرت بعد ذلك في نطاق ضيق جدا في بعض المناطق الداخلية والتي كانت بعيدة عن تأثير الديانات التوحيدية.

ب- الدين الإسلامي في نيجيريا :

يعتبر الدين الإسلام الدين الأعظم من حيث ، الذين اعتنقوه حيث انتشر انتشار واسعا في القارة الإفريقية ، و ساد النصف الشمالي منها بأكمله ، و توغل للكثير من المناطق في جنوب الصحراء ، وبعد أن تمكن الإسلام من شعوب الشمال الإفريقي بدأ ينتقل على يد أبناء القارة إلى قلب الصحراء ، ووصل إلى الغابات الاستوائية¹⁶ .

وعليه انتشر الإسلام في غرب إفريقيا ووصل نيجيريا بفضل :

- الفقهاء و الدعاة : و منهم الشاعر المهندس الساحلي¹⁷ ، و الفقيه أبا عبد الله الكومي الموحد الذي إلتقاه منسى موسى في غدامس واصطحبه لبلاده لتستفيد من ثقافته¹⁸ و الفقيه عبد الرحمن التميمي¹⁹ ، وعمل هؤلاء في خدمة مملكة مالي ، كما زار المنطقة عبد الكريم المغيلي ووصل غاو و الهوسا ، وكان لعثمان دان فوديو في شمال نيجيريا دور كبير في ترسيخ الإسلام .

- دور التجار المسلمين و الطرق التجارية : لعب التجار المسلمين دورا بارزا في نشر الإسلام في إفريقيا السوداء على العموم فقد كانت الطرق التجارية موصلة بين المراكز الإسلامية في شمال القارة و البلاد الواقعة فيما وراء الصحراء ، وهي مسالك الحقيقية ، التي تسرب الإسلام عبرها إلى قلب إفريقيا وكان للتجار فضل كبير في نشر الإسلام في بلاد الهوسا حيث تمتد رحلاتهم من ساحل غانا إلى القاهرة و بلغ من أثرهم إن صارت لغتهم اللغة التجارية لأهل السودان الغربي و بانتشار لغة الهوسا اتسعت دائرة الدعوة إلى الإسلام²⁰ .

• دور الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا : كمملكة غانا و إمبراطورية مالي ، وقد ذكر ابن بطوطة عند زيارته لمالي عام 1353 م أن أهل مالي يجعلون لأولادهم القيود إذا قصر أحدهم في حفظ القرآن، ولا يفك قيوده إلا بعد أن يحفظ جزء من القرآن²¹ . كذلك يضاف إلى هذه الأدوار ما قامت به قبائل الفلاني ودولتهم (الخلافة الصكيتية) في القرن 19 م ،، فقد حاول عثمان دان فوديو في شمال نيجيريا ، والحاج عمر طال، و أولاده خلال القرن 19 م أن يوحدوا البلاد في ظل الإسلام²² .

• دور الطرق الصوفية : كان لهم دورا محمودا وجهدا مشهودا في نشر الإسلام في غرب القارة، وتمثل هذا الدور في نشر التعاليم الإسلامية و إنشاء المساجد ، والزوايا التي صارت خلايا للذكر والعبادة وفتح المدارس، وشراء العبيد ، وتعليمهم مبادئ الدين الإسلامي، ثم عتقهم وإرسالهم كدعاة لنشر الدعوة في مناطق مختلفة، ومن الطرق الصوفية ، التي كان لها باع في نشر الدعوة الطريقة القادرية، و التيجانية، والسنوسية²³ . وقد انتشرت القادرية و التيجانية في نيجيريا.

• الفتحات و الهجرات : مثلت عامل مهم في نشر الإسلام في إفريقيا الغربية أن هجرة قبائل البوهل²⁴ في القرن 17 م، و ما بعده من السنغال إلى الفوتاجالون ثم نيجيريا عاملا مهما في نشر الإسلام في المنطقة .

ومنه وجد الباحثون أمثال توماس ارنولد²⁵ أن للإسلام صلة وثيقة بنفسية الإفريقي فقد ربط بين العقلية الإفريقية ، و التقاليد الإسلامية ، إذ أن الإفريقي شعر بالإخوة الحقيقية بينه ، و بين الداعية وفي هذا الصدد يقول توماس ارنولد على لسان احد الشهود : "إننا نجد الدعاة المسلمين ينفذون إلى قلوب الافريقيين الوثنيين ، و يحولونهم إلى الإسلام و كان من اثر تصرفات الداعية السلمية أن أصبح الزوج ينظرون إلى الإسلام على انه دين السود و إلى المسيحية دين الأوربيين البيض"²⁶ .

وعليه وصول الإسلام إلى بلاد الهوسا و نيجيريا لم يكن بمعزل عن دخوله إلى غرب إفريقيا عموما ، ذلك بان كل دول الإسلامية التي قامت في غرب إفريقيا، بدأ بمملكة التكرور، التي قامت في القرن الثاني هجري انتهاء بقيام جهاد عثمان ،

كانت ذات صلة بشعوب نيجيريا ، وظهرت وثائق عن عدة علماء مسلمين بارزين ينتمون لمناطق مختلفة كان لهم دور في بلاد هوسا ، و من أشهرهم : محمد بن عبد الكريم المغيلي و احمد بن عمر اقيت التتبكتي جد احمد بابا التتبكتي وكان دليل اعتناقهم الإسلام هو قطع الأشجار المقدسة في كانوا، وهذا الحادث تتسبه حوليات كانوا ، و المصادر الونغارية إلى عهد محمد رنفا 1499/1466²⁷.

ومهما يكن الإسلام جاء إلى بلاد هوسا من مملكة كانم - برنو المجاورة لها من الناحية الشرقية ، أو حتى من مناطق من الغرب . إلا أن المد الإسلامي ذا الأثر الفعال قد وصلها من ناحية الغرب، وفي البدء كان مصاحبا للحركة التجارية. ورغم أن الإسلام كان منتشرا انتشارا، واسعا في بلاد الهوسا قبل القرن الرابع عشر ، إلا انه ظل دين التجار المغتربين ، والمجموعات التجارية المحلية الصغيرة و النخبة الحاكمة ، و في حين كانت الجماهير متعلقة عموما بديانتها التقليدية²⁸، كان أيضا الإسلام يمارس مخلوطا بالوثنية منذ القرن الثالث عشر²⁹، ولا نستطيع أن نجزم على وجه التحديد بداية دخول الإسلام إلى بلاد الهوسا³⁰ .

بنهاية القرن الثامن عشر ميلادي يمكننا القول أن الإسلام قد انتشر انتشارا كبيرا في أواسط العامة ، والخاصة بدرجات متفاوتة ، وأصبح إلى حد ما "دين الدولة الرسمي" خاصة ولاية كانوا ، و كتسينا، و زرايا ، و اتخذت مظهرا إسلاميا واضحا المعالم ، و تمثل هذا المظهر الإسلامي في خروج ملوكها لأداء فريضة الحج في مواعيد رسمية كبيرة³¹. بعد انتشار الإسلام في القارة رسخت أقدامه، و توطدت أركانه و قوي بنيانه. مثل الإسلام خطوة بناء في تطور المجتمع الهوسي في كثير من جوانبه السياسية، الثقافية، الاقتصادية، والاجتماعية ، والدينية³².

ج- المسيحية في نيجيريا

في 1472 م نزل المنصورون الكاثوليك في مدينتي واري و بنين شرقي نيجيريا و بنو فيها المدارس وكنائس ، ودخول أول بعثة تنصيرية بروناتنتية عام 1841م حيث نزل المنصورون الانجليز بداغري جنوب نيجيريا³³، لكن الأهالي لم يستسيغونها لأنها تحرم تعدد الزوجات ، و انتشار المسيحية ارتبط بالاستعمار، الذي

اتخذها الاستعمار وسيلة للتغيير الاجتماعي و استطاع أن ينصر بعض القبائل عبر مدارس التنصير³⁴ .

ورغم أنها وصلت في النصف الثاني من القرن 15 ميلادي إلا أنها لم تبدأ في الانتشار الفعلي إلا في القرن 19 م خاصة في جنوب شرق نيجيريا³⁵ وبعد عودة النيجيريين الذين تحرروا من العبودية حملوا معهم المسيحية و نشرها في المدن و القرى و ذلك بدعم من بريطانيا حيث يقوم هؤلاء بالترجمة لكبار المبشرين الأوروبيين الذين أقاموا عدة كنائس ، و أقدم كنيسة في بلاد اليوروبا تعود ل 1845م وهي كنيسة سانت توماس ، كما ركزوا جهودهم في البداية على المناطق الوثنية جنوبا وغربا وحاولوا التوغل نحو الشمال حيث اصطدموا بالإسلام و عليه لم يستطيعوا التأثير إلا على بعض الوثنيين في المناطق النائية خاصة في الجنوب و الشرق³⁶ وقد عملوا على :

أ- بناء الكنائس : كانوا يبدؤون ببنائها في القرى و المدن حتى لو لم يكن بها مسيحي واحد حيث يقوموا بتنظيم أنشطة ترفيهية و ثقافية لاستقطاب الأفارقة و هكذا يبدأ هؤلاء بالارتباط بهم شيء فشيء .

ب- توزيع نسخ الإنجيل بكل اللغات الموجودة في نيجيريا وهي مطبوعة بشكل أنيق

ت- تولي الكنيسة تكاليف أبناء المسيحيين ومضاعفة الرسوم على الأطفال المسلمين

ث- يختارون أبناء المسلمون النجباء للدراسة في الخارج ليعودوا مسيحيين أو على الأقل أشخاص لا علاقة لهم بالإسلام .

ج- توزيع الأدوية على المرضى في المستشفيات مع تقديم دروس تبشيرية

ح- فتح مراكز مهنية للنساء³⁷

وصلت الكثير من البعثات التبشيرية بصحبة الاستعمار لليوروبا و الايبو لنشر المسيحية في إطار مخطط تبشيري استعماري لتحقيق هدفين :

• نشر المسيحية لتوظيف لإيجاد تقارب بين البريطانيين و النيجيريين و ذلك استناد لوحدة الشعور الديني

• تشتيت المجتمع وإظهار المسيحيين كطبقة مميزة و مقربة من سلطات الاحتلال³⁸

وعموما ركز المبشرون جهودهم غربا وشمالا لان الشرق لا توجد به منافسة إسلامية حيث كانوا يهدفون لمنع المسلمون من التوجه بدعوتهم للمناطق المسيحية ، فاختاروا منطقتين حساستين كمرحلة أولى و نقاط التقاء شمال غرب شرق - لاجوس : عاصمتها بلاتو واتخذوها كمركز متطور و بها عدد من المدارس الابتدائية و الثانوية في القرى و المدن وجهزة أحسن تجهيز ومعاهد على مستوى عال و أقاموا كنائس في كل الأحياء ومحطات إذاعية (بالهوسا و الفولانية) .

- مدينة اباجا : في ولاية كوارا و رغم كون هذه المدينة به 95 % مسلمين لكن لكثرة الكنائس تظنها مسيحية مستشفيات ، مدارس ، محطة إذاعية .

إن التركيز على هاتين المدينتين يدل على خطة التأثير على البلاد رغم أنهم على الأقل نجحوا في صرف الدعاة المسلمين عن المناطق المسيحية و الوثنية في الشرق ، رغم حاجة الأقليات المسلمة هناك للدعوة و التعليم³⁹ . وبذلك شنت بريطانيا بعد احتلالها لنيجيريا حربا بدأت بإحلال ثقافتها الغربية محل الثقافة الإسلامية إلى سيادة الشمال وكانت سيادتها التعليمية ذات أهداف تبشيرية بمدارس وكليات و جامعات من طراز غربي⁴⁰ وبعد الاستقلال سمحت الحكومة للنيجيريين بأن يعملوا متسترين وراء شعارات وهيئات خيرية كأطباء ، صيادلة و انتشرت في البلاد مدارسهم ومستشفياتهم ومراكزهم المهنية و كنائسهم⁴¹.

وتختلف كثافة الوجود المسيحي في نيجيريا من منطقة لآخرى

أ- كثافة مرتفعة في ولاية لا يمثل فيها المسلمون إلا 10 % في امبرا ، ايمو ، ريفاس ، كروس ، اكوابو

ب- أغلبية بنسبة 75 % في ولايات مثل بنوي ، بندل ، أونديو

ت- أغلبية تتراوح نسبتهم بين 5-20 % في الولايات الشمالية سوكوتو ، كانو ، بوتشي ، كاتسينا ، بورنو ، غنغولا ، نيجر

ث- أغلبية بنسبة 35% في أويو ، أوقون ، كورا ، بلاتو ⁴²

ويمكن القول أن ارتفاع نسبة المسيحيين أدى لزيادة مشاركتهم في الحياة السياسية وبذلك افلح الانجليز في زرع بذور الفرقة وترسيخ الصراع الديني في نيجيريا ⁴³ والفصل الإقليمي بين الشمال المسلم و الجنوب المسيحي و هو مفهوم خاطئ لأن اليوروبا في الجنوب نصف سكانها مسلمين .

بعد أن استعرضنا التواجد العام والتنوع الديني في نيجيريا، بوجود الإسلام و المسيحية بشكل اكبر من الديانات التقليدية القديمة ، ورغم دخول الإسلام من الشمال و النصرانية من الجنوب فلا تزال قبائل عديدة تدين الوثنية (الديانات التقليدية) و يتركز أكثرهم في الجنوب في منطقة الغابات ، وقليل منهم في الشمال و هضبة باوتشي ⁴⁴ حيث بلغ وطبقا لتعداد سنة 1963 عدد المسلمين في المجتمع النيجيري ما نسبته 47.2 % و تعداد المسيحية 34.5% و معتقي الديانات التقليدية الروحانية بنسبة 18% ⁴⁵ وأخيرا الديانات التقليدية 10 % ⁴⁶.

ثانيا : تأثير التنوع الديني على مسألة البناء الوطني في نيجيريا :

1 - مفهوم بناء الوطني :

يعرف أيوب محمد Ayoob Mohammed أن بناء الدولة هو بناء مؤسسات قادرة على اختراق المجتمع والتغلغل فيه واستخراج الموارد منه ⁴⁷.

وهناك من يرى أن مفهوم بناء الدولة رغم أنه ساد في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، والذي تزامن مع موجة تحرر الدول من الاستعمار إلا انه في تلك الفترة كان مفهومها تقليديا يركز أساسا على إقامة مؤسسات مستقرة ، تهدف إلى تحقيق التنمية الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و تحقيق الأمن و صياغة دساتير و هياكل سياسية تقود عملية التنمية ، و مع نهاية الحرب الباردة أصبح مفهوم بناء الدولة يركز أساسا على إعادة بناء الدولة الفاشلة التي أصبحت مصدر لتهديد الأمن والسلم والاستقرار في العالم ، ومن ثم أصبح اهتمام المنظمات الدولية و المجتمع

الدولي منصب على مساعدة هذه الدول لإعادة بناء ذاتها، و ذلك من خلال هندسة سياسة اجتماعية تمكنها من تحقيق الأمن والديمقراطية والاستقرار الداخلي لكن عملية البناء تكون أولويتها الشرعية الوطنية قبل الشرعية الدولية⁴⁸.

فبناء الدولة يشكل اليوم أحد أهم قضايا المجتمع العالمي لأن الدول الضعيفة أو الفاشلة تبقى مصدر العديد المشاكل من فقر، مرض، مخدرات، إرهاب، فأزمة بناء الدولة إحدى المعضلات الكبرى للمشكلة الأمنية، التي تعانيها دول القارة الإفريقية وذلك في شكل رواسب تاريخية كمشكلة الحدود الجغرافية المتوارثة عن الاستعمار والتي لم يراع فيها التنوع الإثني و القبلي خصوصية المجتمعات الإفريقية. ونظرا لأهمية بناء الدولة القومية فقد سيطرت على الجدال السياسي والفكري في إفريقيا طول مرحلة ما بعد الاستعمار، وكان بذلك التحدي الذي واجهه الزعماء الوطنيون هو كيفية قولبة مجتمعات متعددة الأعراق و الإثنيات واللغات والثقافات و الأديان في وطن واحد غير أن المنظور الذي أخذ بين معظم الحكومات الإفريقية تمثل في إقامة دولة موحدة⁴⁹.

2- نماذج من الصراعات التي أثرت على البناء الوطني :

على المستوى التطبيقي أثارت مسألة البناء في الدولة النيجيرية جدلا و نقاش على مستوى القادة و السياسيين و الباحثين و الاكاديميين و الرأي العام عموما لأنها مثلت تحديا كبيرا، و انعكست تأثيراتها السلبية مباشرة على وحدة البلاد ، و على العمل في سبيل تحقيق تنمية اجتماعية، اقتصادية التي كان الشعب يصوب لها لاسيما بعد الاستقلال 1960 ، ورغم ذلك فان نيجيريا لا تنفرد بهذه المعضلة بل أنها واجهت دول افريقية عدة⁵⁰.

ولم يتوقف المشكل عند التنوع الإثني بل انعكس على التنوع الديني كذلك لوجود الإسلام و المسيحية بشكل اكبر من الديانات التقليدية القديمة حيث توافق الاختلاف الإثني مع الديني ، فهذا الاختلاف العميق في التركيبة الدينية للمجتمع النيجيري مثل احد أهم واكبر مثيرات التوتر في هذه الدولة في ظل مختلف النظم السياسية التي شهدتها⁵¹ حيث كان التنافس التقليدي و الصراع السياسي في نيجيريا

بين الهوسا المسلمين و الأيبو و اليوروبا المسيحيين تجلت مظاهره في العنف المتبادل و الانقلابات العسكرية المتبادلة بين القادة العسكريين المنتمين إليهم ومن مظاهر ذلك :

- تولي الحكم رؤساء مسلمون ومسيحيون عبر النظم العسكرية والمدنية التي توالى على نيجيريا، حيث سيطر القادة العسكريون مسلمون ومسيحيون على الحكم في نيجيريا منذ عام 1966 م إلى عام 1979 م، ثم آلت مقاليد الحكم في البلاد إلى حكومة مدنية، غير أن القادة العسكريين أطاحوا بالحكومة المدنية مرة أخرى في عام 1983 م ومن الطرفين . ففي عيد الاستقلال اغتيل الرئيس النيجيري" جونسون أجيلي إرونسي" المنتمي لقبائل الإيبو، لتتوالى الانقلابات بين جنرالات كل من قبائل الهوسا، و الإيبو و اليوروبا، ليتولى السلطة على التوالي "شيخو عثمان عليو شكري " 1979 - 1983 ، و "محمد بخاري " 1983 - 1985 و "إبراهيم بابانجيديا" 1993 - 1985 م و "ساني أباتشا" 1998 - 1993 م و "عبد السلام أبو بكر" 1998 - 1999 م المنتمين لقبائل الهوسا، و "بنيامين نامدي آزيكوي " المنتمي للإيبو، و "ألوسيجون أوباسانجو" 1999 - 2007 م " المنتمي لليوروبا⁵².

- استمر التصاعد حيث شهدت نيجيريا عمليات توتر أخرى 1976 شهدت محاولة انقلاب فاشلة قام بها ديمكا المسيحي وقتل رئيس الدولة المسلم محمد مرتضى الله⁵³ .

- في 1999/ 2000 م أعلن الشمال انه ولاية إسلامية تطبق فيها الشريعة الإسلامية تطبيق كامل خاصة في زنفرة و كانو و سوكونو وغيرها و كذلك هددت ولايات الأنهار الجنوبية بإعلان نفسها ولاية مسيحية ردا على مشروع زنفرا وغيرها وفي كثير من المرات ما كانت تقوم مظاهرات ومظاهرات مضادة ينتج عنها أعمال تخريب وقتل⁵⁴.

- الحقيقة أن التمايز لم يتوقف عند هذا الجدل بل تجاوز إلى :

أ- المسلمين مختلفين في الطريقة (القادرية و التجانية)

ب- الأغلبية السنية و الأقلية الشيعية

- ت- التمايز الاثني (هوسا ، فولن ، كانوري ذو الخلفيتين التاريخيتين)
- ث- تمايز إقليمي بين المسلمين و الهوسا⁵⁵.
- ظهور قوى رافضة للحكومة النيجيرية تبنت النهج التكفيري مثل بوكو حرام وغيرها

خاتمة :

ومن خلال ما تم عرضه نستخلص ما يلي :

- التنوع الديني في نيجيريا كان كبيرا ، و ارتبط بالتنوع الإثني والإقليمي حيث نلاحظ أن قبائل الهوسا كان اغلبها مسلم وهي تقطن الشمال و الإيبو تقطن الجنوب الشرقي و اليوروبا في الجنوب الغربي وكانتا هاتين القبيلتين تدينان بالمسيحية بنسبه متفاوتة أما الديانات التقليدية انتشرت بشكل ضئيل في مختلف القبائل السابقة .

- عانت نيجيريا بسبب اختلاف الأديان في مجتمعها من عدة صراعات ، كانت بين هذه القبائل المختلفة من جهة ، وداخل القبيلة نفسها من جهة أخرى ، فالمشكل كان أعمق لان القبيلة الواحدة كانت تدين بديانات مختلفة .

- مثلت التركيبة الدينية أهم معيقات البناء الوطني في نيجيريا ولكن ليس بالضرورة القضاء على الاختلاف و التنوع الديني أو القبلي حتى يتم بناء دول ناجحة مستقرة ودون صراعات .

- وعليه وبوعي من هذه المجتمعات يمكن بناء دولة ناجحة في ظل هذه الاختلافات لان في الاختلاف رحمة قال تعالى : " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " ⁵⁶.

- فلا يمكن اعتبار تعدد الأديان و الأعراق أو حتى اللغات معيق لبناء الدولة ، بل هو مكسب وهو دليل على للثراء الثقافي للدولة ويؤكد نيلسون مانديلا هذا المعني بقوله : " ما إن وصلنا إلى السلطة حتى قررنا اختيار تنوع الألوان و اللغات مصدر للقوة بعدما كان يستخدم في الماضي للتفرقة بيننا " ⁵⁷

ومنه لمعالجة التوترات و النزاعات الدينية والتطرف و العنف الديني لا يكفي معها الحلول الأمنية وحدها ، بل تحتاج إلى حزمة إصلاحات بنيوية عميقة (اجتماعية و اقتصادية وسياسية) لتحقيق العدالة الاجتماعية و محاربة الفساد ، وإعلاء قيم المواطنة و المساواة .

- 1 هوبير دي شان : الديانات التقليدية في إفريقيا ، تر: احمد صارف حمدي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2011، ص9 .
- 2 عاصم محمد حسن : الديانات التقليدية في غرب إفريقيا، قراءات افريقية ، العدد 3، الرياض، ديسمبر 2008 ، ص 68 .
- 3 Kofi Antubin هو كاتب من غانا له كتاب (Ghanas heritage of culture) حاول تصنيف الديانات في إفريقيا .
- 4 عاصم محمد حسن : المرجع السابق ، ص 69 .
- 5 Parrinder African tradition Relagion له كتاب
- 6 عاصم محمد حسن : المرجع السابق ، ص 69-70 .
- 7 نفسه ، ص 69-70 .
- 8 هوبير دي شان: المرجع السابق، ص 35، 62. محمد ناصر العبودي: قصة سفر في نيجيريا، ج 1، ط1 ، مطابع الفرزدق، الرياض، 1995، ص33
- 9 هاشم نعمة الفياض: نيجيريا دراسة المكونات الاجتماعية والاقتصادية، ط1، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 1916، ص 109-110
- 10 محمد ناصر العبودي : المرجع السابق ، ص 32-33 .
- 11 محمد ناصر العبودي : المرجع السابق، ص 34-35 .
- 12 Nwabara Samuel N: The Fulani conquest and rule of the Hausa Kingdom of Northern Nigeria (1804-1900) , Journal de la Société des Africanistes, tome 33 fascicule 2 , 1963, p 231.
- 13 M. Hisket : The historical background to naturalization of Arabic loan words in Hausa, African language Studies VI, London , 1965 , p. 21, Toyin falola and matthew m

- .heation : a History of Nigeria ,Cambridge university press
 ,new York ,2008: p30
- 14 محمد ناصر العبودي : المرجع السابق ، ص153-154 .
- 15 عبد الرحمان بن محمد إمام: الصراع اللغوي في إفريقيا في ظل العولمة لغة
 اليوروبا في نيجيريا نموذجا، مجلة العاصمة، المجلد الخامس، الهند، 2013،
 ص 17
- 16 محمد شاكور : التاريخ الإسلامي (الأقليات الإسلامية) ، ج 2 ، ط 2،المكتب
 الإسلامي .بيروت ، 1416 / 1995،ص276.
- 17 وهو معروف بالطويجن تحدث عنه كثير من المؤرخين والباحثين جاء مع
 السلطان الحاج منسى موسى، عند رجوعه من الحج،فاتخذه مستشاره الخاص
 والمشرف على إنجاز كثير من المشاريع الثقافية والعمرانية في دولة مالي، فبني
 للسلطان قصور ومساجد على طريقة العمران السائد في جنوب المغرب وقت
 ذلك و اعتمد فيها على مواد محلية. فكان هذا النمط من العمران جديدا على
 أهل السودان،انظر محمد فاضل على باري ، سعيد كديدية : المسلمون في
 غرب إفريقيا - تاريخ وحضارة - ص 104
- 18 نعيم قداح:المرجع السابق ، ص54
- 19 كاتب موسى الذي اصطحبه موسى معه من أرض الحجاز عند عودته من الحج
 ، إلى مدينة تنبكتو للتدريس فقد وجدها حافلة بالفقهاء السودانيين الذين تفوقوا
 عليه في الفقه وغيره من العلوم الشرعية واللغوية. مما اضطره إلى السفر إلى
 المغرب للاستزادة من العلم ثم العودة إلى تنبكتو للتدريس. وبعدها، تولى القضاء
 والإمامة في الجامع الكبير بتمبوكتو لمدة أربعين سنة.انظر عبد الرحمان
 السعدي : تاريخ السودان ، ص57
- 20 محمد احمد حسونة : اثر العوامل الجغرافية في الفتوح الإسلامية ،دار النهضة ،
 القاهرة ، مصر ، دت ،ص67.

21 ابن بطوطة أبو عبد الله بن إبراهيم : تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار ، ج 1 المطبعة الخيرية ، القاهرة ، 1904 ، ص 289.

22 – meunier olivier :Les route de islam , l'harmattan , paris ,canada , p 115-11

23 عبد الله عبد الرازق: انتشار الإسلام في غرب إفريقيا، دار الفكر العربي - القاهرة، 2006م، ص 6 - 8

* الطريقة القادرية : طريقة صوفية تنتسب إلى مؤسسها عبد القادر الجيلالي انتشرت انتشار واسع ووصلت غرب إفريقيا ووسطها ، و خاصة بين قبيلة كوننة العربية و في منطقة نفوذ عثمان دان فوديو و أحمدو لوبو ، و من أشهر قادتها سيدي احمد البكاي . انظر توماس ارلند : الدعوة إلى الإسلام ، ص 284

* الطريقة التيجانية : تنسب إلى أبي العباس احمد بن محمد بن المختار ، و هو فقيه مغربي ولد بالجزائر في 1737. انضم إلى الطريقة الخلوتية ، ولكن سرعان ما اتخذ لنفسه اتجاها جديدا ضمن هذه الطريقة ، و عند وفاته في عام 1818 م كانت الطريقة التيجانية قد علا شأنها في المغرب و كثر أتباعها في إفريقيا مادوهو بانيكار: الوثنية و الإسلام، ص 297

* الطريقة السنوسية : مؤسس هذه الحركة هو السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسنى الادريسي ، (1787_1859) ، تولت أمر الكفاح ضد الاستعمار، انشأ مؤسسها قاعدة السنوسية في واحة الجنوب بصحراء مصر الغربية ثم في الكفرة بصحراء ليبيا ، كانت حركة قد اصبحت إمارة سياسية لها ارض وشعب ، و امتدت إلى برنو و النيجر و إلى وسط الصحراء و إفريقيا المدارية الغربية و شمال تشاد و غدامس .انظر مادوهو بانيكار: الوثنية و الإسلام ، ص 279

24 اسم لقبائل الفولن

25 (1864-1930م) من كبار المستشرقين البريطانيين، تعلّم في كمبردج، وقضى عدة سنوات في الهند أستاذا للفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية.. وصفه المستشرق البريطاني المعروف (سير هاملتون جب) بأنه "عالم دقيق فيما يكتب.. وأن معرفته بالإسلام ترفع أقواله فوق مستوى الشبهات". ذاع صيته بكتابه (الدعوة إلى الإسلام) الذي ترجم إلى أكثر من لغة، و (الخلافة) ، كما أنه نشر عدة كتب قيّمة عن الفن الإسلامي للمزيد انظر ناصر عبد الرزاق الملا جاسم : المستشرق توماس ارلند و التحول في الدراسات الإستشراقية ، مجلة آداب الفرهيدي ، عدد17، 2017.

26 نعيم قداح : المرجع السابق ،ص135.

27 كاني احمد محمد : الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا ، الزهرة للإعلام العربي ، ط 1 ، نيجيريا ، 1405 هـ 1987 م - ، ص 35-36.

28 Chima j .korieh and g.vgo . nwokeji : Religion , history and politics in nigeria , university of America , united state America ,2005 , p 112 .

ج.ت.نياني : المرجع السابق، المجلد4 ، ص 295 .

29 M. Hisket : op.cit, p. 21. Toyin falola and matthew m .heation : op.cit: p30

30 Hyacinth kalu: op.cit, p 9

31 احمد محمد كاني :المرجع السابق، ص52.

32 عبد الفتاح مقلد المغني : حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة، 1985، ص154. عطية مخزوم الفيثوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا جنوب الصحراء ، ط1، جامعة قازيونس ، بنغازي ، 1998 ، ، ص151.

- 33 عبد العزيز كحلوت : التصير و الاستعمار في إفريقيا السوداء ، ط2 ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، 1992 ، طرابلس ، ص32 ، محمد ناصر العبودي: المرجع السابق ، ص 35
- 34 نجم الدين السنوسي : دور القبيلة في إفريقيا ، مجلة قراءات افريقية ، العدد 8 ، 2011 ، ص 84 نقلا عن حمدي عبد الرحمان حسن : التعددية وأزمة بناء الدولة في إفريقيا
- محمود شاكر: نيجيريا، ط2، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر ، 1971، بيروت ، ص 48-49. محمد ناصر العبودي: المرجع السابق ، ص 35
- 35 صبحي قنصوة : نيجيريا قضايا وتحديات التعايش في مجتمع تعددي، ص132
- 36 محمد ناصر العبودي: المرجع السابق ، ص36
- 37 نفسه ، ص 36 - 40.
- 38 إكرام بركان : تحليل النزاعات المعاصرة في ضوء مكونات البعد الثقافي في العلاقات الدولية ، مذكرة ماجستير ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2009-2010 ، ص 126-128.
- 39 محمد ناصر العبودي: المرجع السابق ، ص38-39 .
- 40 إكرام بركان: المرجع السابق ، ص125-126
- 41 محمد ناصر العبودي: المرجع السابق ، ص 37
- 42 محمد ناصر العبودي: المرجع السابق ، ص 37
- 43 إكرام بركان: المرجع السابق ، ص 126-127
- 44 محمود شاكر : نيجيريا ، المرجع السابق ، ص 48-49
- 45 الفياض : نيجيريا ، المرجع السابق ، ص 110
- 46 أبو فرحة : المسلمون في نيجيريا و إشكالية البناء ، مجلة قراءات افريقية ، المنتدى الإسلامي ، العدد 11 ، 2012 ، ص35.

47 مدوني على : مدوني علي : قصور متطلبات الدولة في إفريقيا وانعكاساتها على الأمن و الاستقرار بها ، أطروحة دكتوراء ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2013-2014 ، ص 28.

48 pouligny Beatrice: state building et securite international critique international n 28 juillet- september-2005-p 119 - 121

49 الفياض : المرجع السابق ، ص 63

50 حمدي عبد الرحمن: إفريقيا و تحديات عصر الهيمنة أي المستقبل، مكتبة مديولي، القاهرة ، 2007، ص 41 - 47.

51 محمد عاشور: التطورات السياسية في نيجيريا ، مجلة أمتي في العالم ، مركز الحضارة للدراسات السياسية ، ص 51

52 على ابو فرحة : المرجع السابق ، ص 36-37

53 صبجي قنصوة : المرجع السابق ص 160

54 نفسه، ص 160-157

55 صبجي قنصوة : المرجع السابق ، ص 160

56 القران الكريم : سورة الحجرات ، الآية 13 .

57 زنگويرازي : لغات إفريقيا نحو التنمية المستدامة ، المرجع السابق ، ص 97-100 .